مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 32، جانفي 2023، ص - ص: 9– 28
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

مظاهر تعظيم الله تعالى في اختلاف القراءات القرآنية وتوجيهها وأثره في التدبر

Manifestations of the Exaltation of Allah Almighty in Different Quranic Readings, Their Guidance and Its Impact on Reflection

أ.د/ عبد الرحمن معاشي
كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة1
maachiabdou@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/09/18 تاريخ القبول: 2022/12/14

الملخص:
يتناول هذا الموضوع مظاهر تعظيم الله عز وجل في جانب اختلاف القراءات القرآنية وتوجيهها، وهو يكتسي أهمية بالغة من جهتين؛ أما الأولى فمن خلال بحثه في مقصود الله من وراء الخلق وهو العبادة والتعظيم، والثاني فمن خلال اشتغاله بكلام الله سبحانه وهو القرآن الكريم والقراءات، وشرف العلم بشرف المعلوم.

ويهدف إلى تحقيق واجب التدبر والتفكر في عظمة القرآن الكريم وهداياته؛ وذلك ببيان عظمة القرآن في مجال القراءات القرآنية؛ والتي جاءت لغرض التيسير والتخفيف، وكذا إبراز بعض هذه المظاهر والمعاني في اختلاف القراءات القرآنية وتوجيهها وأثر ذلك في تعميق تعظيم الله سبحانه من خلال تعظيم كلامه.

وجاءت نتائج البحث كاشفة معاني تعظيم الله تعالى؛ فمنها ما جاء مفيدا لتعظيم الله تعالى صراحة وبطريق مباشر، ومنها ما جاء مفيدا لتعظيم الأشياء والمخلوقات التي عظَّمها الله سبحانه.

هذا، وأزعم أن هذه المحاولة بكرٌ في فكرتها، أصيلة في طرحها، جديدة في تناولها، تصب في ميدان التفكر والتدبر وتعظيم الله سبحانه.

الكلمات المفتاحية: تعظيم الله؛ اختلاف القراءات؛ توجيه؛ تدبر.

Abstract:

This topic deals with the manifestations of glorifying God Almighty in the aspect of the different Quranic readings and its justifications. Its importance manifested in two ways; the first, it is through his research on the purpose of God in His creation, which is worship and veneration, and the second, through its interest in Quranic readings.

It aims to guide the duty of reflection on the greatness of the Quran; by showing its greatness in the readings, and revealing some of these meanings in the different readings and their justifications and the impact of that in deepening the glorification of God.

The results of the research revealed the meanings of glorifying God in correct readings, and even single readings (not acceptable). some of them are useful to glorify God explicitly and directly, and some of them are useful to glorify the things and creatures that God has glorified.

Key words: Glorifying God; different Readings; justifications; Assets; Branches.

مقدّمة:

الحمد لله العظيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن اقتفى هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن موضوع تعظيم الله سبحانه في خلقه وفي هداياته وآياته في الآفاق وفي الأنفس لمن أجدر الموضوعات البحثية – تأصيلا وتطبيقا- قدْراً، وإن سلوكَ مسلك التعظيم لله وتحقيق العبد الضعيف له في ساحة التكليف لمن أجلِّ الأعمال التي يتقرب بها إلى العظيم سبحانه؛ لذلك عُني القرآن الكريم بهذا البعد غاية العناية وصار المقصد الأول والأخير في منظومة مقاصد الاعتقاد والعبادات وكذا المعاملات.

وإنَّ في تعدُّد القراءات القرآنية واختلافها – صحيحها وشاذِّها- وتوجيه هذا الخلف عند المشتغلين بفنِّ التَّوجيه والاحتجاج من الفوائد الكثير، ولعلَّ من هذه الفوائد إضافة إلى ما ذكره العلماء والباحثون، تضمُّنَها بعض معاني ومظاهر تعظيم الله تعالى وإجلاله سبحانه.

مشكلة البحث:

يتناول موضوع البحث السؤال عن علاقة القراءات القرآنية بمسلك التعظيم لله عز وجل من مناحي مختلفة، وأثر ذلك في تعميق واجب التدبر والتفكر الموصل إلى الهداية.

- فما هي مظاهر التعظيم في اختلاف القراءات المتواترة والقراءات الشاذة؟
- وما هي مظاهر التعظيم في أصول القراءات وفرشها؟

هذه الأسئلة وما يتفرَّع عنها ستكون محلَّ عرض ومناقشة في هذا البحث.

أهمية البحث:

تعود أهميَّة البحث في كشف الصِّلة الوثقى بين القراءات القرآنيَّة - المتواترة والشاذَّة، أصولا وفرشاً- ومقصد التَّعظيم– تعظيم الله تعالى وتعظيم ما عظَّمه سبحانه- وموارد هذا التعظيم وأشكاله ومواقعه، التي تتجلَّى من خلال البحث عن علل تلك القراءات وحججها اللُّغويَّة المتعدِّدة.

أهداف البحث:

أما عن أهداف البحث، فإنه يسعى إلى:

- بيان عظمة القرآن الكريم المتمثِّلة في القراءات القرآنيَّة التي جاءت لغرض التَّيسير والتَّخفيف.
- إبراز جهود العلماء في توجيه القراءات القرآنيَّة في الدِّفاع عنها وصيانتها والانتصار لها.
- لفت النَّظر إلى مقصد تعبُّدي عظيم من مقاصد القرآن؛ ألا وهو تعظيم الله تعالى من خلال تعدُّد القراءات واختلافها وتوجيهها.

منهج البحث:

اعتمد الباحث منهج الاستقراء والتحليل بشكل رئيس؛ حيث قام باستقراء عدد من القراءات المختلفة بين القراء؛ المتواترة منها والشَّاذَّة؛ وذلك من خلال تتبُّع جملة من النَّماذج التَّطبيقيَّة في أداء بعض الكلمات أصولاً وفرشاً، وأوجه الاحتجاج لهذا الخُلْف، وتحليلها تحليلا علميًّا يفضي إلى بيان المقصود ويكشف عن مواقع التَّعظيم، كما استخدم الباحث المنهج الوصفي في عرض المفاهيم البحثيَّة، وبيان اهتمام الأئمَّة القرَّاء والمفسِّرين واللُّغويِّين بمقصد التَّعظيم.

الدِّراسات السَّابقة وجديد البحث:

لا يخفى على كلِّ مطَّلع أنَّ موضوع القراءات القرآنيَّة أُلِّفت فيه المؤلَّفات وصُنِّفت فيه البحوث والمصنَّفات وهي فوق الحصر، وموضوع التَّعظيم لم يحظ بالكثير من تلك التي حظي بها الأوَّل، وما جاء فيه عبارة عن كتب أو مقالات، أما الرسائل العلميَّة فلم أقف على شيء منها.

ولعلَّ من أهمِّ تلك المحاولات في ذلك ما يلي:

1- أحمد بن عثمان المزيد، تعظيم الله جلَّ جلاله – تأمُّلات وقصائد- (مكة المكرمة: كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1432هـ- 2011م).

2- أحمد بن عبد الله السلمي، أين نح من تعظيم الله عز وجل (الأحساء: المكتب التعاوني للدَّعوة والإرشاد وتوعية الجاليات، 1446هـ- 2015م).

وهما كتابان يغلب عليهما جانب التزكيَّة، جُمعت فيهما نصوص مختلفة وقصائدُ عذبة؛ من شأنها تقوية الصِّلة بين المخلوقين وخالقهم سبحانه.

والكتب والمقالات على هذه الشَّاكلة موجودة ومتعدِّدة أيضاً.

كما عقد كرسيُّ الهدايات القرآنيَّة مؤتمراً – وهو موجود على شبكة الأنترنت- بالسودان سنة 2020م، بعنوان: "تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم"، تناولت محاوره التأصيل لمفهوم تعظيم الله تعالى في الهدايات، ونماذج تطبيقية في تعظيم الله تعالى في ضوء الهدايات القرآنيَّة.

أما عن جديد البحث، فإن الدراسات التي تناولت موضوع البحث غير موجودة –في حدود اطلاعي- وقد بذلت جهدا في ذلك، وأزعم أن هذه المحاولة بكرٌ في فكرتها، أصيلة في طرحها، جديدة في تناولها، تصب في ميدان التَّفكُّر والتَّدبُّر وتعظيم الله سبحانه.

خطَّة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدِّمة وثلاثة مطالب وخاتمة، كما يلي:

مقدِّمة: أفصحت – كما هو معهود- عن مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته.

المطلب الأوَّل: تضمَّن مدخلا مفاهيميًّا لمصطلحات البحث؛ وهي: التَّعظيم، والقراءات والتَّوجيه، في اللغة والاصطلاح ثم صياغة تعريف يشمل حدود البحث.

المطلب الثَّاني: مظاهر التَّعظيم في توجيه أصول القراءات، وقد اشتمل على مجموعة من الأصول التي اختلف فيها القراء لا حظ الباحث في تعليلها وتوجيهها تعظيمَ الله تعالى؛ كالمدِّ، وتغليظ اللام، والتكبير.

المطلب الثَّالث: مظاهر التعظيم في توجيه فرش الحروف واختلافها، انتخب مجموعة من النَّماذج التي تبرزُ مقصد التَّعظيم ومواقعه وطرقه؛ فمنها ما دلَّ على تعظيم الله تعالى بطريق مباشر، ومنها ما أفاد تعظيم الأشياء والمخلوقات والأوصاف التي عظَّمها الله تعالى، ومنها ما أفاد التَّعظيم بطريق النَّحو ومنها ما ورد دالاً على التعظيم في القراءات الشاذَّة.

خاتمة: وفيها مجموعة من النَّتائج التي توصَّل إليها البحث.

المطلب الأول: مدخل مفاهيمي

سأتناول في هذا المدخل تعريفا موجزا للمصطلحات الواردة في البحث؛ وذلك فيما يلي:

أوَّلا: تعريف التَّعظيم

1- في اللغة: جاء في لسان العرب: "عظُم الشيء بالضم يعظم عِظماً؛ أي كبر، وأعظم الأمر وعظَّمه تعظيما؛ أي فخَّمه، و التعظيم: التَّبجيل و استعظمه عدَّه عظيما"[1].

2- في الاصطلاح: لم يلتفت كثير من المتقدِّمين إلى تعريف مصطلح التَّعظيم بالرغم من استعماله في كلامهم وكثرة تداوله في كتبهم، ولعل هذا الأخير من أهمِّ الأسباب في ذلك، إلا أني وقفت على كلام للإمام الهروي (481هـ) عن تعظيم الله سبحانه في باب الفقر، يصلح أن يكون تعريفا اصطلاحيا له، وهو: "التوصُّل إليه بسببه سبحانه والاعتراف بحقِّه على خلقه والرِّضى باختياره نفي السَّبب عن الله تعالى"[2].

ومن خلال النَّظر في هذا التَّعريف وفي مواقع مشتقات (التَّعظيم) في القرآن الكريم، يمكن صياغة تعريف آخر، تفرضه مادَّة البحث، فأقول: "تعظيم الله هو إجلاله وتمجيده سبحانه وتوقيره وتقديره حقَّ قدره بما يليق به سبحانه مع التذلُّل له؛ في ربوبيته وألوهيَّته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وكذا تعظيم ما عظَّمه سبحانه في كتابه من خلقه وأحكامه".

ثانيا: تعريف القراءات

1- **في اللُّغة**: القراءات: جاء في لسان العرب أن القراءة: "مشتقة من مادّة (ق ر أ)، وهي مصدر للفعل قرأ، وهي على وزن (فِعَالة)، وهذا اللفظ يستعمل في الجمع، والضمّ، والتلاوة، وربما التفقُّه والتنسك"[3].

2- في الاصطلاح: عرّف علمَ القراءات جماعةٌ من الأئمّة العلماء بعدّة تعريفات، أشهرها تعريف ابن الجزري (ت 833هـ)، يقول فيه: "هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوّاً لناقله"[4].

ثالثا: تعريف التَّوجيه

1- **في اللُّغة**: التَّوجيه من (وجه)؛ وهو ما يتوجه إليه الإنسان من عمل وغيره، يقال: "لهذا القول وجه أي مأخذ وجهة أخذ منها"[5]. فالتوجيه إذن في اللغة هو الكشف عن مأخذ الشيء وبيان جهته، وذلك للوصول إلى المعنى المقصود من ورائه.

2- **التَّوجيه في الاصطلاح**: يُعرَّف علم التوجيه في الاصطلاح بأنه: ذلك العلم الذي يُقصد منه بيان وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها[6]. ويطلق عليه أيضا: الاحتجاج، التخريج، التعليل، الانتصار وغيرها.

وتوجيه القراءات فن جليل – كما قال الزركشي-: "به تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتبا"[7]، في توجيه القراءات المقبولة، وأخرى في الشاذَّة.

رابعا: المقصود بمظاهر تعظيم الله تعالى في اختلاف القراءات وتوجيهها

من خلال ما سبق إيراده، يمكن التوصُّل إلى تعريف إجرائي لحدود البحث، وهو: مواطن تفخيم الله سبحانه وتقديره الملحوظ في تغاير القراءات المتواترة والشاذَّة وعللها، مع التذلُّل له؛ في ربوبيَّته وألوهيَّته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وكذا تعظيم ما عظَّمه سبحانه في كتابه من خلقه وأحكامه.

المطلب الثاني: مظاهر التعظيم في أصول القراءات وتوجيهها

إن المتتبِّع لأصول القراءات واختلافها عند القرَّاء، ليقف على بعض مظاهر تعظيم الله تعالى وإجلاله. وقبل استعراض بعض هذه المظاهر نبيِّن أوَّلاً معنى أصول القراءات وذلك كما يلي:

أولا: المقصود بأصول القراءات

1- في اللُّغة: تعرف الأصول بأنها: جمع أصل، وهو في اللُّغة أسفل كلِّ شيء وما يُبنى عليه غيره[8].

2- وفي الاصطلاح: تعرف الأصول بأنها: "كلُّ حكم جار في كل ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم؛ كالمد والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحو ذلك، وتسمى بالأحكام المطَّردة"[9].

ثانيا: مظاهر التَّعظيم في أصول القراءات

معلوم أن القرَّاء اختلفوا في أداء بعض أصول القراءات حسب ما انتهت إليهم الأسانيد والرِّوايات في ذلك، كما تضمَّن توجيه بعض هذه الأصول وتعليلها معاني تعظيم الله تعالى وإجلاله سبحانه؛ من ذلك:

1- مدّ التعظيم: يورد القراء هذا النوع من المد تحت طائلة السبب المعنويِّ، ويقصد به المبالغة في النَّفي[10]؛ وذلك في نحو: (لا إله إلا الله) ، (لا إله إلا هو) ، (لا إله إلا أنت).

وقد أخذ بهذا النَّوع جملة من القراء الذين رووا قصر مد المنفصل؛ نصَّ على ذلك: "أبو معشر الطَّبريّ وأبو القاسم الهذليّ، وابن مهران، والجاجاني وغيرهم"[11]، ويمدونه قدراً زائدًاً على القصر على

سبيل الاستثناء، معلِّلين ذلك بتعظيم الله عز وجل ومبالغة في نفي الألوهيَّة عن سوى الله تعالى، واختار القراءة به جملة من المحقِّقين وحسَّنوه.

وقد أشار إليه ابن الجزري (ت 833هـ) في الطيِّبة بقوله:

"والبعضُ للتَّعظيم عن ذي القصر مدّ *** وأزرق إن بعد همز حرف مدّ"[12]

ولهذا استحبَّ بعضهم مذهبَ من يرى مدَّ الذَّاكر والقارئ قول: "لا إله إلا الله"؛ لما فيه –كما يقول الدمياطي-: "من التدبُّر، وأقوال السَّلف وأئمَّة الخلف في هذا كثيرة مشهورة"[13].

وفي توجيه قراءة الفتح في قوله تعالى: "شهد الله بأنَّه لا إله إلا هو. . . أنَّ الدِّين"، ذكر الأزهري (370هـ) أنَّه يحسن دخول الباء قبل (أنَّ)؛ والتقدير: "شهد الله بأنَّه لا إله إلا هو"؛ وهي مُجراة على الاستئناف، وقوله: "أنَّ الدِّين" والقدير: "بأنَّ الدِّين" معترضة، فبدأ في الشَّهادة على الله على سبيل التَّعظيم، كقولك: (أعتقكَ اللَّهُ وأعْتَقْتُك)، فتبدأ بالله تعظيمًا[14]، وكثير هم القرَّاء الذين يعتبرون هذا المدَّ في إثبات الألوهيَّة فيمدُّون (لا إله إلا الله)؛ حملاً على التَّعظيم.

2- تغليظ اللام من لفظ الجلالة: تعتبر أحكام اللَّام من أصول القراءات التي اتَّفق القرَّاء في مواضع منها واختلفوا في مواضع أخرى، ومن المواضع التي اتَّفقوا فيها أن يُسبَق بفتحة أو ضمَّة[15]؛ نحو: (شهد الله) [آل عمران: 18] و (رسلُ الله) [الأنعام: 124] ونحوهما، والغرض من ذلك التعظيم لله جل جلاله.

ويذهب القراء إلى أن القصد من تغليظ اللام من اسم (الله) العلي العظيم إنما هو التعظيم، وهذا مشروط حال البدء به، أو أن يسبق بمفتوح أو بمضموم يوصل بلام الجلالة فيُفخَّم تعظيما[16]، وذكر بعضهم إجماع القرَّاء على تفخيم هذه اللَّام؛ لأجل تعظيم هذا الاسم الشَّريف الدَّال على الذات، وإشعاراً باختصاصه بالمعبود الحقّ[17]. وعليه، فينبغي ضرورة تشديد اللام لبيان التغليظ المقتضي للتعظيم والإجلال في اسم الجلالة.

وهناك من ذكر معنى آخر غير التعظيم؛ وهو أن التفخيم – التغليظ - للتمييز بينه وبين (اللات)[18]، وهذا أيضا جائز يتحمَّله المعنى ويحتمله.

3- التكبير:

أ- سبب إيراد باب التكبير ضمن باب الأصول: قبل الحديث عن معنى التكبير ومظاهر التعظيم فيه، يجدر بي الإجابة عن سبب إيرادي له ضمن "الأصول"، في الوقت الذي درَج فيه المصنِّفون على ترتيب "التكبير" بعد الحديث عن الأصول والفرش في باب مستقل، ومن ذلك ما صنعه ابن الجزري، حين قال في طيبته: "وبعد إتمامِ الأصول نشرعُ *** في الفرْش والله إليه نضْرعُ"[19]

فبعد أن أتمَّ نظم أصول القراءات العشر، شرَع في نظم القراءات المعروفة في اصطلاح القرّاء بـ "فرش الحروف" مبتدئا بسورة البقرة منتهيا "بباب التكبير"؛ مما يدل على أنه مستقل عنهما.

وكذلك صنع كل من ألَّف في القراءات؛ يبدؤون بإيراد الأصول ثم يعطفون عليها بالفرش ثم يجعلون "باب التكبير" آخر شيء يختمون به.

وحينما سرَد الشيخ الضبَّاع الأصول الدائرة في اختلاف القراء؛ وعددها سبع وثلاثون أصلا، لم يذكر "التكبير" ضمنها؛ مما يدل أيضا على أنه –وإن لم يصرح بذلك- غير معدود من الأصول.

ويبدو لي – بعد النظر والتأمل- أن "باب التكبير" جدير بأن يلحق بباب الأصول، وتلك مسألة تحتاج إلى مزيد بحث وتحقيق ليس ههنا موضعه، لكن أكتفي في هذا المقام بذكر بعض الملاحظ التي تقوِّي هذا المنحى:

الأول: يصدق على "التكبير" حدَّ "الأصول" ولا يندُّ عنه؛ فهو أيضا حكم كلِّي مطَّرد، مثله مثل الاستعاذة أو البسملة أو غيرهما، يتحقق عند وجود سببه وهو وصول القارئ إلى "سورة الضحى" أو "ألم نشرح".

الثاني: التكبير يخضع لأحكام الاستعاذة والبسملة وأوجه قراءتهما؛ فهو متَّصل بهما، ويجوز في الثلاثة – التكبير والاستعاذة والبسملة- القطع والوصل، كما يجوز معها –الثلاثة- إثبات البسملة أو حذفها.

الثالث: رواه الإمام البزي عن ابن كثير؛ فهو بذلك من أصول قراءة ابن كثير، وأخذ به ابن الجزري وغيره لسائر القراء؛ فقد كان أهل مكة –كما ذكر أبو شامة-: "يكبِّرون في آخر كل ختمة من خاتمة (والضحى) لكل القراء لابن كثير وغيره سنة نقلوها عن شيوخهم"[20].

الرابع: لا مانع من إلحاق "التكبير" بباب الأصول لأنه لا يوجد ما يعارضه، بعكس إلحاقه بالفرش لأن التعريف لا يتحمله.

ومهما يكن فإنَّ المسألة تحتاج إلى مزيد بحث ونظر –كما سبق ذكره-، والآن سأنتقل إلى الحديث عن معنى التكبير ومظاهر التعظيم فيه، وذلك كما يلي:

أ- معنى التَّكبير: معلوم أن التكبير هو قول القارئ: "الله أكبر" أو غير ذلك من الصِّيغ، وقد روى الحاكم وغيره: "أنّ الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فادعى المشركون أن محمدا قد قلاه ربه، فكذبتهم سورة (الضُّحى)، فلما فرغ جبريل عليه السلام من قراءة سورة (والضحى)، كبَّر النبي ﷺ"[21].

ب- حكم التَّكبير: ليس التكبير – عند المثبتين له- جزءًا من القرآن الكريم، وإنما هو ذكرٌ ندَب إليه الشَّارع عند ختم بعض سور القرآن الكريم كما ندب إلى التعوُّذ عند البدء بالقراءة، ولذا لم يكتب في مصحف من المصاحف العثمانية، وهو كما يقول محمد سالم محيسن: "سنّة ثابتة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين، وهو مذهب الشافعي كما يروي عنه البزِّي"[22].

ج- مظاهر تعظيم الله تعالى في التَّكبير: يتجلَّى التَّعظيم في "باب التَّكبير" الذي رواه بعض القرَّاء وأخذوا به في التِّلاوة في تكبير النبيِّ ﷺ وتعظيمه لله عزَّ وجل؛ فقد جاء في المستدرك للحاكم: "لما فرغ جبريل عليه السلام من قراءة سورة (والضحى) قال صلَّى الله عليه وسلم: الله أكبر"[23]؛ إسداءً لواجب الشكر لله تعالى على ما تفضَّل عليه من استمرار الوحي بعد غياب، وتبكيت الكفَّار وتفنيد إفكهم، ثم أمر النبي الأكرم ﷺ بالتَّكبير إذا بلغ (والضحى) مع نهاية كل سورة حتى يختم القرآن؛ قصد التَّعظيم والتَّفخيم للمولى سبحانه، واغتباطًا وسرورًا ببلوغ الختم.

ولا يخفى أنَّ التَّكبير يكون غالباً لأمر ذي بال، وقال مكي بن أبي طالب: "زيادة في تعظيم الله مع التِّلاوة لكتابه والتبرُّك بختم وحيه وتنزيله والتنزيه له من السوء"[24]، وهو نحو قول علي رضي الله عنه الآتي: "إذا قرأت القرآن فبلغت قصارى المفصَّل فكبَر الله"؛ فكأن التكبير شكر الله وسرور وإشعار بالختم"[25].

ونقل أبو شامة (ت 665 هـ) في شرحه -مبِّينًا مظهر تعظيم الله وإجلاله في التَّكبير-: "أنَّ الذي عليه العمل عند القرَّاء التكبير في قراءة البزِّي خاصة، وهي رواية أهل مكة في الختم يجعلونها زيادة في تعظيم الله تعالى وتبرُّكا بختم التنزيل وتنزيه الحق سبحانه عن كل سوء ونقص"[26].

ومن تعظيم الله تعالى وتكبيره أيضا شكره على دحض وكسر شوكة شانئي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أشار الدمياطي (1117هـ)[27].

كلُّ هذه النصوص وغيرها تكشف عن عظمة الله تعالى وتعظيمه عند القراء في هذا الباب وارتباطه بختم القرآن الكريم، ارتباطًا يحمل معاني الشكر والثناء على الله تعالى على نعمة التوفيق.

المطلب الثالث: مظاهر التعظيم في توجيه فرش القراءات واختلافها

إن المتتبِّع لفرش الحروف واختلافها عند القراء، ليقف كذلك على مظاهر كثيرة ومتنوعة من تعظيم الله تعالى وإجلاله سبحانه. وقبل استعراض بعض هذه المظاهر نبين معنى فرش الحروف وذلك كما يلي:

أولا: المقصود بفرش الحروف

1- في اللغة: فرش الشيء يفرشه بالضم، فراشا بالكسر؛ أي: بسطه، ويقال: فرشها الله فرشا أي بثها بثا[28]. فالفرش إذن: البث والبسط، وسميت فرش الحروف كذلك لأنها مبثوثة ومبسوطة في القرآن الكريم.

2- وفي الاصطلاح: فرش الحروف هي: "ما يذكر في السور من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية مختلف فيها بين القراء مع عزو كل قراءة إلى صاحبها ويسمى فرش الحروف"[29]، وتسمى أيضا بالأحكام المنفردة؛ أي أن لكل كلمة حكما خاصًّا بها لا يطَّرد مع نظائرها، وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول.

ثانيا: مظاهر التعظيم في فرش الحروف

لعلَّ من فوائد تعدُّد القراءات القرآنية واختلافها المقبولة منها وحتى الشاذة، وتوجيه هذا الخلف عند المشتغلين بفن التوجيه والاحتجاج إضافة إلى ما ذكره العلماء والباحثون، تضمُّنَها بعض معاني ومظاهر تعظيم الله تعالى وإجلاله سبحانه.

وأثناء تتبعي لها واستقرائي لعدد منها ألفيتها متنوعة ومختلفة الورود؛ فمنها ما جاء مفيدا لتعظيم الله تعالى صراحة وبطريق مباشر، كتوجيه النون – نون العظمة- التي تلحق الأفعال ونحوها، ومنها ما جاء مفيدا لتعظيم الأشياء والمخلوقات وهي في النهاية من تعظيم الله تعالى لأنها من خلقه ومُلكه، وغير ذلك من مظاهر التعظيم التي ازدانت بها حروف الخلاف – الفرشيات- في القراءات المقبولة والشاذة.

وسأحاول أن أمثل لكل ذلك فيما يلي:

1- ما جاء مفيدا لتعظيم الله بطريق مباشر: سأكتفي في هذا المقام بإيراد جملة من النماذج من حروف الخلاف وتوجيهها، والتي تبين مظاهر تعظيم الله تعالى وإجلاله صراحة –كما سبقت الإشارة- وبطريق مباشر؛ وذلك فيما يلي:

أ- اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: 36]: اختلف القراء في ضم التاء وتسكين العين وفتح العين وتسكين التاء من قوله (وَضَعَتْ)؛ فقرأ: "عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر (بما وضعتُ) بضم التاء وإسكان العين وقرأ الحرْميَّان والبصري والأخوين (بِمَا وَضَعَتْ) بتسكين التاء، وقرأ ابنُ عباس: «وضَعْتِ» بكسر التاء على أنها تاءُ المخاطبة"[30].

ووجه القراءة الأولى - سكون العين وضم التاء- على أنه من كلامها، وتقديره: وأنت أعلم بما وضعت، وهو جائز في العربية وفيه أيضا من التعظيم لله عز وجل في كونها وضعت الظاهر موضع المضمر تفخيما وتعظيما.

ومعلوم أن وضع الظاهر مكان المضمر يكون لغرض بلاغي؛ كالتفخيم أو الاختصاص أو تعظيم الأمر؛ مثل ما جاء في قولهم:

"لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ *** نغَّص الموتُ ذا الغِنى والفقيرَا"[31]

والشَّاهد تكرار ذكر الموت؛ فإنَّ فيه من التَّهديد والتَّخويف وتعظيم الأمر ما يقصر عنه الضَّمير العائد عليه.

وقد نبَّه الرَّازي (ت 606 هـ) إلى ملمح دقيق في هذه القراءة –الأولى- فيه من مظاهر التَّعظيم ما يدعو إلى التأمُّل؛ وهو أنها لما قالت (إنِّي وضعتها أنثى) اعتذرت إلى الله عز وجل بقولها: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، بعد أن خشيت أن يُظنَّ بها أنها تُعلم الله تعالى وتخبره[32]؛ فقد اعتذرت المرأة لربِّها لأنها أرادت أن تهب لله – لخدمة بيت المقدس- أحسنَ ما يهَبُه الناس وأقدَرهم على الخدمة والتحمُّل، وهذا ممَّا لا تقوى عليه الأنثى فاعتذرت لربها لأنها وضعتها أنثى، مع أنه لا يد لها في وضعها ولا خيار، وهي تعلم يقينًا أن الله يعلم ما وضعت؛ وهذا غاية في التَّعظيم والإجلال لربِّ العالمين.

وفي قراءة الجمهور - القراءة الثانية- وكذا قراءة ابن عباس – وهي من الشاذ- من مظاهر التعظيم والتَّبجيل لله تعالى ما لا يخفى.

جاء في توجيه القراءة الثَّانية – فتح العين وإسكان التَّاء- على أنه كلام معترض لله سبحانه وليس من كلام امرأة عمران، وقد يصحُّ هذا لما يتضمَّن من تعظيم الحقِّ سبحانه، وتعظيم ولدها وتجهيلٍ لها بقدر ذلك الولد.

وأما قراءة عبد الله بن عباس: "بما وضعتِ" على خطاب الله لها، أي: "إنك لا تعلمين قدر هذه المولودة، ولا قَدْر ما عَلِمه الله فيها من عظائم الأمور والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات"[33].

فانظر كيف اجتمعت هذه القراءات جميعاً – صحيحها حتَّى شاذِّها- على معنى تعظيم لله سبحانه وإجلاله، وكل قراءة تؤدي وجهًا خاصًّا من وجوه التعظيم والتبجيل.

ب- اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: 13]: قرأ حمزة (وأنَّا) بالنون مشددة و (اخترناك) بألف ونون، وقرأ الباقون (وأنَا) خفيفة النون و (اخترتُك) بالتاء بغير ألف[34].

قال الشاطبي في حرزه:

"وَنُوِّنْ بِها وَالنَّازِعَاتِ طُوًى (ذَ)كَا *** وَفِي اخْتَرْتُكَ اخْتَرْنَاكَ (فَـ)ـازَ وَثَقَّلاَ"[35]

يتجلى مظهر التعظيم في هذا الخُلف في قراءة حمزة؛ حيث قرأ بضمير الجمع المتكلم في كل من: (أنَّا) و(اخترناك)، وفي ذلك من زيادة تعظيم الله تعالى وإجلاله ما تقصر عنه قراءة الجماعة، ومعلوم أن الجمع في غير الجماعة يُتقصَّد به – في الغالب- هذا الغرض.

ويأتي ضمير الجمع لغرض التعظيم بخلاف ضمير المتكلم المفرد، كما أشار إلى ذلك أبو شامة وغيره[36].

ج- اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: 21]:

قرأ البصري: (وأتبعناهم) بهمزة قطع مفتوحة وبنون الجماعة، و (ذرياتهم) جماعة ومنصوبة، وقرأ الجمهور: (واتبعتهم) بالتاء و(ذريتهم) مفردة مرفوعة[37].

تتضمَّن قراءة أبي عمرو معنى من معاني التعظيم لله عز وجل؛ حيث قرأ بالنون فبدل التاء في (اتبعتهم)؛ وذلك لوجهين:

الأول: النون في (أتبعناهم) هي نون الجماعة وتسمى بنون العظمة، والغرض منها – كما سبق- تعظيم الله تعالى وتمجيده سبحانه، وهو ليس جماعة بل هو الواحد الفرد الصمد.

والثاني: الإتباع والمشاكلة؛ فقد قرأ بالنون حتى تتبع ما بعدها في الصيغة وتشاكلها: (ألحقنا بهم)، (وما ألتناهم)، ويكون الكلام على نسق واحد.

د- اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[سورة مريم: 09]: اختلف القرّاء في (وقد خلقتك)؛ فقرأ: "الأخوان – حمزة والكسائي-: (خلقناك) بنون مفتوحة، وألف بعدها، وقرأ البقية (خلقتك) بالتاء المضمومة"[38].

ووجه قراءة الجمهور بالتاء المضمومة على عوْد الفعل إلى ضمير المتكلّم، لمناسبة قوله تعالى: "قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ".

أما قراءة الأخوين – حمزة والكسائي- فتتضمَّن مظهرا من مظاهر التعظيم لله عز وجل؛ حيث قرأ كل منهما بالنون بدل التاء في (خلقناك)؛ وذلك لوجهين:

الأول: النون في (خلقناك) هي نون الجماعة وتسمى بنون العظمة، والغرض منها – كما سبق- تعظيم الله تعالى وإجلاله سبحانه، وهو ليس جماعة بل هو الواحد الفرد الصمد، ثم إنَّ العرب يصفون عظيم الشأن بلفظ الجمع قصد التعظيم والتفخيم له، وليس أعظم من الله سبحانه وتعالى.

الثاني: إسناد الفعل إلى ضمير العظمة، لمناسبة قوله تعالى قبلُ: "يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ" [39].

والأمثلة على هذا النوع –ما وقع من خُلف بين المفرد ونون العظمة- كثير؛ كاختلافهم في: قوله تعالى: ﴿لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:81]؛ فقرأ المدنيان – نافع وأبو جعفر- (آتيناكم) بنون جمع مفتوحة وألف بعدها على التعظيم، وقرأ الباقون بتاء تاء المتكلم المضمومة[40].

وقرأ كل من: "حمزة والكسائي وخلف: (أنجيتكم، وواعدتكم، ما رزقتكم) بتاء المتكلم في الأفعال الثلاثة، وذلك على لفظ الواحد المخبر عن نفسه، ولمناسبة قوله تعالى بعد: "وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي"، وقرأ الباقون (أنجيناكم، وواعدناكم، ما رزقنكم) بنون العظمة في الأفعال الثلاثة، لمناسبة قوله تعالى قبل: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي"؛ وفيه معنى التعظيم للمخبر عن نفسه"[41]، وهكذا.

واضح من هذه الأمثلة - وغيرها كثير- أن قراءة "النون" تدلُّ على العظمة والجلال لله سبحانه وتعالى، ولا يخفى أن التعظيم مقصد قرآني لمن استقرى باب العقيدة وأبواب الفقه عموما - في العبادات والمعاملات وغيرهما-، إضافة إلى انسجام هذه القراءة –قراءة النون- مع صيغ الجمع الواردة في سياق الآية.

2- ما جاء مفيدا لتعظيم الأشياء والمخلوقات والأوصاف: جاء في الاحتجاج لبعض حروف الخلاف ما يدلُّ على مظاهر تعظيم الله تعالى وتفخيم قدره بطريق مباشر – كما سبق الحديث عنه-، كما جاء منها ما يدلُّ على التعظيم بطريق آخر غير الطريق الأول، يتضمَّن تعظيم بعض ما عظَّمه الله تعالى من خلْقه أو أوامره أو أحكامه أو غير ذلك.

وعليه فإني سأكتفي بالتمثيل –لا الحصر- في النماذج القرائية الآتية:

أ- اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 09] بين الجمع والإفراد: اتفق القراء على إفراد (على صلواتهم) في: الأنعام والمعارج، واختلفوا في هذا الموضع – سورة المؤمنون- فقرأ الأخوان وخلف بالتوحيد وقرأها الباقون بالجمع[42].

ووجه من قرأ بالإفراد كما قال الفارسي: "أنه مصدر واسم جنس، فيقع على الكثرة، وإن كان مفردًا في اللفظ"[43].

أما قراءة الجمع (على صلواتهم) فتتجلى فيها معاني التعظيم لأمر الصلاة وشأنها؛ وذلك لأنها:

- أحيطت هذه القراءة –وهي قراءة جمهور القراء في سورة المؤمنون- بعوامل التعظيم من قبل ومن بعد؛ فقد تقدَّم تعظيم الوصف في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وتأخَّر تعظيم الجزاء في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾؛ فناسب لفظَ الجمع هذا التعظيم[44]، بخلاف سورة [الأنعام: 92] و [المؤمنون: 02]؛ فقد جاء اللفظ –"على صلاتهم"- مفردًا، لأنه لم يتوافر فيهما تلك العوامل الموجودة في سورة المؤمنون.
- ذكر الصلاة مرتين وليس بتكرير؛ تعظيماً لشأن الصلاة؛ فالذكر الأول للأمر بالخشوع والثاني بالأمر بالمحافظة والخشوع والمحافظة متغايران غير متلازمين، ووحِّدت كما وصف الزمخشري: "أولاً ليُفاد الخشوع في جنس الصلاة، وجمعت آخراً لتُفاد المحافظة على أعدادها، وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة، والعيدين والجنازة، وغيرها من النوافل"[45]، فاشتملت هذه القراءة من معاني التعظيم على ما لم تشتمل عليه قراءة التوحيد.

ب- اختلافهم في حركة اللام من: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهمْ لَتَزُولُ منْهُ الجِبالُ﴾ [إبراهيم: 46]: اختلف العلماء في هذه القراءة، فقرأ: "الكسائي وحده (لَتزولُ) بفتح اللام الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون (لِتزولَ) بكسر الأولى وفتح الثانية"[46].

وجهُ مَنْ قَرَأَ بالكسر معناه، كما قال الأزهري: "ما كان مكرهم لأن تَزولَ، وأنَّ بمعنى (مَا) الجَحْد، والتأويل: مَا مَكْرُهم لِيزول به أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهي ثابتة كثبوت الجبال الرواسي؛ لأن الله تعالى وعده أن يظهر دينه على الأديان كلِّها"[47].

وأما وجهُ قراءة الكسائي -بفتح اللام الأولى وضم الثانية- ففيها مظهر من مظاهر التعظيم، ووجهه:

- أنَّ اللام للتَّوكيد و "تزولُ" مرفوع بالمضارعة؛ مثل قولك: "إن محمَّدًا ليقول" وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ بنون ساكنة خفيفة على تعظيم أمر مكرهم؛ بمعنى أن مكر هؤلاء المذكورين لو بلغ مكر نمرود أو غيره ممن يعظمونهم لم ينتفعوا به. ومثل هذا في تعظيم الأمر قول الشاعر:

"ألَمْ تَرَ صَدْعًا في السَّمَاءِ مُبَيِّنًا *** على ابنِ لُبَيْنى الحارثِ بن هِشَامِ"[48]

وقد دلَّت هذه القراءة على تعظيم مكرهم، على خلاف القراءة الأخرى، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: 22]؛ أي: "أنَّ مكرهم من عظيم شدَّته وتأثيره لا تقف أمامه أمثال الجبال الراسيات في العتوِّ والثبات"[49].

- ويقوِّي قراءة الكسائي في تجلية مظهر التعظيم في حرف علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما: "وإن كاد مكرهم لَتزول"[50] بالدَّال وهذا دليل على تعظيم مكرهم.

ومعلوم أن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى غالبا، وسياق اللام – المفتوحة- هنا جاء لغرض التوكيد، ولا يُصار إلى هذا المعنى إلا لأجل معنى زائد يدلُّ على التَّفخيم والتَّعظيم.

ج- اختلافهم في قراءة: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: 06]: اختلف القراء في هذا الموضع، فقرأ: "حمزة وحفص عن عاصم (بزينةٍ) خفضا منونة (الكواكب) بكسر الباء خفضا، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (بزينة) منونة (الكواكب) نصبًا، وقرأ الباقون (بزينةِ الكواكب) خفضا مضافا"[51].

علَّل العلماء هذا القراءات واحتجوا لها جميعا من جهة اللغة بأوجه سائغة وصحيحة، غير أنَّ قراءة التنوين حملت معنىً زائداً عن غيرها؛ يتضمَّن التَّعظيم في تصوير زينة السماء الدنيا وتنوُّرها بالكواكب العظيمة الوضَّاءة؛ وذلك لأنَّ:

- التَّنكير المنون في (زينةٍ) يفيد التعظيم؛ حيث قوَّى الصورة أكثر وجعلها أبلغَ في أداء المعنى؛ حيث وقعت (الكواكب) في القراءة الأولى عطف بيان أو بدل وهو معلوم الحسن بالمشاهدة، والتنكير يفيد التعظيم؛ والتقدير كما يقول أبو شامة: "بزينة لها شأن عظيم، ويمكن أيضا - على هذه القراءة- أن تكون "الزينة" مصدرا أو مفعول مطلق و(الكواكب) بزينة مبالغة"[52].

قال عدد من النحاة –كالزجاج والفارسي وغيرهما- أنَّ إعمال المنون أقوى من المضاف لأن فيه –المنون- شبها بالفعل المؤكد بالنون الخفيفة، أي بتزيين[53].

- وقالوا أيضا أن المصدر – النكرة- هو في حالة التنوين معرفة لأنه في معناها، وإعمال المعرَّف أقوى من إعمال المضاف في القياس. ومنه قول الشاعر:

"ببَذْلٍ في الأمورِ وصِدْقِ بأسٍ *** وإعطاءٍ على العِلَلِ المتاعا"[54]

فأنت ترى أنَّ التنوين يأتي لهدف تأكيد ما دخل عليه، وهو بذلك أقوى وأدلُّ على معناه من المضاف؛ فقويت الصورة في قراءة: (وزينةٍ الكواكب) وعُظِّم شأنُ الكواكب، بخلاف قراءة الإضافة.

د- اختلافهم في قراءة: ﴿وقَدْ أَخَذَ ميثَاقَكُم إن كنتمْ مُؤمنِينَ ﴾[الحديد:08]: قرأ البصري من السبعة: "(وقد أُخذ ميثاقكم) بضم همزة الألف وكسر الخاء وضمِّ القاف، وقرأ الباقون بفتح الألف والخاء والقاف"[55].

وكلا القراءتين صحيحة ومتَّجهة، والفعل فيهما لله وحده هو الذي أخذ عليهم الميثاق:

أما قراءة الجمهور – بالألف والقاف المفتوحتين- فحجَّتهم كما يقول ابن زنجلة أنه: "قرب من ذكر الله في قوله: (لتؤمنوا بربكم)؛ فأسندوا الفعل إلى الله وأجروه إليه، أي: وقد أخذ ربكم ميثاقكم"[56]؛ إخبارًا بأنَّ الميثاق إنما هو مبرمٌ مع الله عزّ وجلّ، وحينها يكون وقعُه أعظم في النفوس وأهيب.

وأما قراءة أبي عمرو – بضم الألف وكسر الخاء- فقد أسند الآية إلى غير مصرَّح به وأجراها على ما لم يسمَّ فاعله، وقد اتَّفق سائر القرَّاء على بنائها للمجهول في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف: 169].

ومعلوم أنَّ الميثاق هو العهد وآخذه هو الله العظيم، وهذا يجعل معنى الآية – بقراءتيها- عظيمًا ووقعه في النفوس شديدًا.

وأخْذُ الميثاق كان في عالم الذرِّ؛ حيث شهدوا لله بالوحدانية، كما أنَّ من تجلَّت أمامه الدَّلائل والآيات وعلِم بها – كما يقول أهل التأويل- كان بمثابة من أُخذ منه الميثاق[57].

غير أنَّ في اختيار أبي عمرو مظهراً زائداً من مظاهر التعظيم، ووجهه أنَّ:

- الأصل في الميثاق الثقة والائتمان والعهد وآخذه هو الله؛ وكلُّ هذا موجب للوفاء والتعظيم، وقد اتفقت القراءتان على هذا المعنى.
- إسناد وعزو أخذ الميثاق في قراءة البصري إلى ما لم يُسمَّ فاعله –نائب الفاعل- وهذا أبلغ وأعظم لو أُسند إلى الفاعل كما في القراءة الأخرى، وفائدته تظهر في تعظيم أمر الميثاق، والتهويل من شأنه.
- ونظيره من القرآن: ما جاء في قوله تعالى: "يسبِّح له فيها بالغدوِّ والآصال" [النور: 36]؛ فقد قرئت عند بعضهم[58] بالبناء للمفعول: (يُسَبَّحُ)؛ فنابت هذه الصيغة عن ثلاث جمل؛ وهي فعل التسبيح المذكور، والقائم به ضمير الفاعل، والتصريح به (رجال) وهو اسم ظاهر كما أشار الكرماني (ت:786هـ)- ومن شأن هذه الصياغة –ببناء المفعول- مع هذا العدد من الجمل أن يكون أبلغ وأفيد لو أنَّه أُسند إلى جملة واحدة في بنائه للفاعل، والكلام –كما يقول الكرماني- :"متى كان أجمع للفوائد كان أبلغ، وفوائد ثلاث جمل أكثر من فوائد جملة؛ فيكون الكلام ببناء المفعول أبلغ"[59].

- وشاهده من الشعر: "ليُبْكَ[60] يزيدُ ضارع لخصومة *** ومختبط مما تطيح الطَّوائح"[61]

وبناء "لِيُبكَ" للمفعول، ورفع "يزيد" أبلغ من بنائه للفاعل ونصبه.

ومعلوم أن من أوجه وأغراض حذف الفاعل الإيجاز أو التعظيم، وقد يكون أيضا للتحقير والانتقاص، أمَّا في هذه القراءة – قراءة البصري- فقد أفادت - كما مرَّ- التعظيم والتفخيم للميثاق الموجب للوفاء والالتزام.

3- ما جاء معظَّما بطريق النَّحو: يظهر التعظيم -فيما يظهر- في فرش الحروف بطريق النحو أيضا؛ فقد عمَد النَّحويون – ومنهم أصحاب الاحتجاج والتوجيه- إلى تعليل بعض ظواهر النصب وتخريجها على المدح والاختصاص والتعظيم.

ومن أمثلة هذا النوع ما نقف عليه من صور التعظيم لله تعالى أو لأحد من خلقه أو لبعض أحكامه في النماذج القرائية الآتية:

أ- توجيه النصب في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن ينزِّل علَيْنا مَآئِدَةً منَ السَّمآءِ﴾ [المائدة: 112]: اختلف القراء في أداء هذا الحرف: "فقرأ الكسائي وحده: (هل تستطيع ربَّك) - بالتاء ونصب الباء واللام مدغمة في التاء - على قاعدته-، وقرأ الباقون (هل يستطيع ربك) بالياء ورفع الباء"[62].

إن الخلف بين القراءتين يسهم في تكثير معاني الآية ورفع الإشكال عنها؛ ذلك أن:

قراءة الجمهور - بالرفع على الفاعلية- قد تُشكل المعنى المراد الظاهر، فيفهم منها أنَّ الحواريين شكوا في قدرة الله تعالى واستطاعته[63]، وهذا ينفي عنهم وصف الإيمان، وهذا لا يصح إذ لا يصح تعليق الاستطاعة بغير فعل المستطيع.

ولذلك فإنَّ القراءة – قراءة الجمهور- محمولة على خلاف الظاهر؛ وهي: "كقول أحدهم لجليسه: "أتستطيع أن تقوم معنا في أمر؟"، وهو يدري أنه سيفعل، غير أنه يعني: أتعيننا عليه؟ وقد يصح أن يكون مقصود قارئه أيضا: هل يجيبك ربك في أن تأتينا بما طلبنا؟ أو هل يفعل بمسألتك واستطاع بمعنى أطاع - وهذا كما يقول أهل اللغة: "تفريع؛ على أن استطاع بمعنى أطاع والسين زائدة"[64]، ويجوز أن يكونوا سألوه كما قال الدمياطي: "سؤال مستخبر هل ينزل أو لا، وذلك لأنَّ الحواريين مؤمنون ولا يشكُّون في قدرة الله تعالى"[65].

أما قراءة الكسائي: فكانت أدلَّ على المعنى المقصود من الأولى؛ ولذلك احتُجّ لاختياره بأن الله تعالى وصفهم بالحواريين، ولم يكونوا يستحقون ذلك وهم يرتابون في رسالة الله وفي قدرته.

كما أنها كشفت عن معنىً من معاني التعظيم لله عز وجل وإجلاله سبحانه لم يَرِدْ في القراءة الأولى ورفعت عنها الإشكال أيضا؛ وذلك بالنَّصب - أي: (ربَّك)- على التعظيم؛ بمعنى: هل تستطيع سؤال ربك، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: "كان الحواريُّون أعرف بالله من أن يقولوا هل يستطيع ربُّك"[66]، فحذف المضاف وأقام ربك مقامه، فأعربه بإعرابه.

ب- توجيه النصب في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: 162]: قال تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ، وهو مقطع آية من سورة النساء تمامها قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162].

ومحلُّ الشَّاهد في هذه الآية قوله: "والمقيمين الصلاة"؛ حيث جاء منصوبًا بين مرفوعين هما قوله: "والمؤمنون" وقوله: "والمؤتون الزكاة".

اعترض على هذه الآية قوم -لا اعتبار بهم- فادَّعى أن فيها لحناً وخطأً نحويًّا، ورووا عن أم المؤمنين عائشة وأبَان بن عثمان أنها غلط من الكاتب، وأنها في مصحف عبد الله بن مسعود بالواو "والمقيمون الصلاة"[67].

وهذا لا يصحُّ عن عائشة ولا عن أبان، وقد أجاد الزمخشري (ت 538هـ) حين أوهن من مقولتهم وزعْمهم أن في رسم المصحف لحنًا، ونهى عن الالتفات إليها؛ ذلك أنَّ من خبَر مذاهب العرب وافتنانهم في التعبير على الاختصاص بالنصب لا يشكُّ في سقوط ما رماهم به من خفي عليه ذلك[68].

هذا، وإنَّ في قراءة النصب: (والمقيمين الصلاة) مظهرًا من مظاهر التعظيم لأمر الصلاة وشأنها وخطورة حال تاركها أو المتهاون فيها، ولذلك جاء في توجيه النصب وتعليله ما يلي:

1- قيل: إن النصب فيه على الاختصاص أو على الإضمار أو على قطع النعوت، والنَّاصب فعل مضمر تقديره أخصُّ أو أمدح المقيمين الصلاة، وسبب ذلك وعلته بيان مزيَّة الصلاة وفضلها.

ومن عادة العرب في بعض النعوت إذا أخذت مأخذا في المدح أو الذمِّ أن تخالف بين إعراب أول الشيء وأوسطه، ثم ترجع بآخره إلى إعراب أوله، وقد يلحقون إعراب آخره بإعراب أوسطه[69].

ونظيره ذلك من القرآن اختلافهم[70] في قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: 177].

ونظير هذا من الكلام كما يقول البونسي: "مرَرْتُ بِزَيْدٍ الرَّجلَ الصَّالحَ؛ فإن خفضته جعلته بَدَلاً من زيد، وإن رفعته على إضمار هو، والنصبُ على المدحِ والذم والترحُّم والاختصاص"[71].

وذكر سيبويه في باب ما ينصب على التعظيم، ومثل لذلك بقوله تعالى: "والمقيمين الصلاة"، وأنشد:

وكلّ قوم أطاعوا أمر مرشدهم *** إلّا نميرا أطاعت أمر غاويها
الظّاعنين ولمّا يظعنوا أحدا *** والقائلون لمن دار نخلّيها[72]

وكلمة "الظاعنين" كان أصلُها الرفع في البيت، ولكن اعتني بها، فانتصبت على التعظيم والمدح أو ما يسمى بالعناية.

والنَّصب على العناية أو المدح لا يكون في البلاغة إلا لفائدة، وهي هنا كما يقول محمد رشيد رضا: "إظهار مزية الصلاة... كما أن تغيير الإعراب في كلمة بين نظائرها، ينبِّه الذهن إلى النَّظر فيها ويحثُّه على التفكير لاستخراج مزيتها وهو من أركان البلاغة"[73].

ويوجد مثله في الأصوات؛ حيث يلجأ المتكلِّم في أداء الكلمة إلى بعض التغييرات الصوتية؛ كالرَّفع أو الخفض أو المدِّ أو النَّبر أو غيرها، تنبيها للمخاطب إلى أمر ذي بال.

2- وقيل في توجيه النصب في القراءة: إن الياء في "المقيمين" للجرِّ لا للنصب؛ على أنه نسق على الضمير المجرور في "منهم"، والتقدير كما يقول الزجاج: "لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين"، أو على الضمير المجرور في "إليك"؛ على تقدير: "يؤمنون بما أنزل إليك" وإلى المقيمين الصلاة ويعني الأنبياء[74].

والأرجح الأول، وهو الذي اعتمده سيبويه وغيره من أهل البصرة وجمهور النحاة.

أما ما روي عن ابن مسعود وأبيٍّ وغيرهما: "والمقيمون الصلاة"، فتوجيهها واضح وهو العطف.

ج- اختلافهم في إعراب: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 01]: اختلفوا في الميم بين نصبها وكسرها من قوله (والأرحام): "فقرأ حمزة الكوفي وحده بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب"[75].

قرأ حمزة بخفض (والأرحام) على أنه معطوف على المجرور، والتقدير: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ وانتقدت قراءته وغُلِّطت من طرف جملة من النَّحويين خاصة البصريِّين منهم، ووجه تغليطهم أن العطف على المجرور دون إعادة الخافض لا يجوز في النثر ويقبح في الشعر. قال العكبري: "وإنما جاء في الشعر على قبحه، وأجازه الكوفيون على ضعف، وقيل الجر على القسم، وهو ضعيف أيضا"[76].

وقد نوَّهت الآية – ومنها قراءة حمزة- بعظمة الأرحام؛ ذلك أنَّ العرب كانوا يناشد بعضهم بعضا بالله تعالى وبالرحم، فيقولون: "أسألك بالله أو أسألك بالرحم"[77]، والرحم اشتق الله تعالى لها من اسمه، وأمر بوصلها وحذَّر من قطيعتها وجعل ذلك علامة للتخلف والإفساد في الأرض؛ فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: 22].

وأجراها قومٌ على الحَلِف؛ كأنّه أقْسَمَ بالأرحام، لأنّهم كانوا يُعظِّمونها، وهو ضعيف؛ لأن الأخبار وردت بالنهي عن الحلف بالآباء[78]، والله تعالى عظيم لا يقسم إلا بعظيم، كما في قوله تعال: (والنجم، والشمس، الليل، الضحى...)، وغيرها من الأقسام القرآنية.

أما قراءة الجمهور (والأرحامَ) بالنصب، فأحسب أنَّ فيها قدراً زائداً من التعظيم والتقدير للأرحام على ما جاء في قراءة حمزة، ويظهر ذلك في أمرين:

أحدهما: العطف على اسم الله عز وجل؛ والتقدير: اتقوا واحذروا قطع الأرحام، وهذا تشريف وتعظيم من الله تعالى العظيم – حين أمر بالتقوى- لعظيم خلْقه المتمثلة في "الأرحام".

والثاني: الإجراء على موضع الجار والمجرور كقولك: "مررت بزيد وعمروٍ"، على تقدير: "واتقوا الله الذي تعظمونه" ثم الحَلِف – وهو ضرب من التعظيم- بالأرحام "والأرحام"[79].

كل هذه الشواهد وغيرها تشيرُ إلى اختصاص النَّصب بعض الأوصاف أو الأشياء بمزيد من العناية والرِّعاية والمدح وكذا الذمِّ أحيانًا، إذا جاء النصب مخالفا بين إعراب أول الشيء وأوسطه، ثم يُرجع بآخره إلى إعراب أوله.

4- ما جاء في الشاذِّ من القراءات وتوجيهها مفيدا للتعظيم: لا يخفى ما للشاذِّ في القراءات القرآنية من أهمية وقوة كبيرتين في العربية أو في التفسير والدلالة على المعنى أو غيرهما، بالرُّغم من عدم قبوله في القراءة والتعبُّد، وقد نوَّه ابن جني في مقدَّمة المحتسب بذلك حتى ذهب إلى قوَّة هذا المسمى شاذًّا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضيٌّ من القول لديه.

ومن تلك الأهمية ما نُفيد منه في هذا المقام - في الجمع بين المتواتر والشاذ- من الإشارة إلى تعظيم الله تعالى وإكباره وإجلاله أو تعظيم خلقه أو بعض أحكامه، وهي من تعظيمه سبحانه كما سبق بيانه.

ومن النماذج القرائيَّة الدالَّة على ذلك ما يأتي:

أ- اختلافهم في قراءة: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 09]: قرأ عامة القراء (وتعزِّروه) بزاي مشددة ثم راء، وقرئ في الشاذ (وتعززوه) بزائين معجمتين[80].

وقد أفاد تعدُّد القراءتين في تعظيم الله تعالى وإجلاله وتمجيده سبحانه وكذا تعظيم رسوله ﷺ؛ وذلك كما يأتي:

- أما قراءة الجمهور فمن التعزير؛ وهو في لسان العرب: "التوقير والتعظيم، وهو أيضا التأديب ومنه التعزير الذي هو الضرب دون الحدّ"[81].
- والتَّعزير في الآية بمعنى: تعظِّموه وتكبِّروه، أو تنصروه بالجهاد معه. أمَّا عَوْد الضمائر على الله أم على رسوله ﷺ، فالأمر مشترك ومحتمل؛ فالجمهور جعل عودَ الضمير في: "تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ" على النبي عليه الصلاة والسلام، وخصَّ "وَتُسَبِّحُوهُ" بعودها على الله سبحانه، وذهب قوم إلى أن الضمائر كلَّها: "وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ" عائدة على الله تعالى[82].
- وتعزير رسول الله ﷺ لا يكون إلا بتعظيمه ونصرته بالقتال معه وتأييده بتحمُّل دعوته وتبعاتها وتبليغ سنته، ونشر علمه ومنعه من كل أذية، وافتدائه بالعزيز والنفيس، وتوقيره بصون حرمته والدفاع عنه وآله وإخوانه وأصحابه وأزواجه، ومعاملتهم بالتكريم والتشريف في حدود الوقار دون غلوٍّ أو جفاء، وتعظيم أمره ونهيه.

وأما القراءة الأخرى (وتعزِّزوه)؛ فهي من العزِّ ضدَّ الذُّلِّ والعزَّة في مقابلة الذِّلَّة والهوان، والعزُّ في الأصل القوَّة والشدَّة والغلبة والرِّفعة والامتناع.

وجاء في اللسان أيضا: "ويقال: عَزَّ يَعَزّ بفتح العين من يعَزّ، إذا اشتد، ويقال عز كذا وكذا، جامعٌ في كل شيء، إذا قلّ حتَّى لا يكاد يوجد، وأعززتُ الرجل: جعلته عزيزا. وأعززته: أكرمته وأحببته وأمدته وأيدته ودعمته"[83].

كلُّ هذه المعاني اللغوية التي أفادتها كلمة (عزز) والتي أضافتها على قراءة الجمهور مقصودة في قراءة: (وتعززوه)، وهي تصبغ على رسول اللﷺلم هالة من معاني التعظيم والتبجيل، تدفع إلى الإكرام والحب والنصرة والتأييد والدفاع عنه وعن سنته.

ولا يمنع أيضاً إضافة "التعزيز" لله عز وجل على وجه التَّعظيم والتَّفخيم لأنه مصدر العزَّة، وكلُّ وجه من العزة فهي لله سبحانه؛ مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]، وهو الأحق بالتعظيم والتبجيل والنصرة، وهو العزيز الذي لا يحتاج إلى غيره ويحتاج غيره إليه.

وكل عزة إنما هي لله وحده حقيقة، وأما ما يكون لرسوله من عزة فبقربه من الله العزيز، وما يكون للمؤمنين فبواسطة قربهم أيضا من الرسول صلى الله عليه وسلم العزيز بالله عز وجل[84].

ب- اختلافهم في قراءة: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253]: اتفق القراء الأربعة عشر على رفع الجلالة من قوله تعالى: (منهم من كلَّم الله) وروي في الشاذِّ بالنصب.

وقد أفاد تعدد القراءات في هذه الآية معاني التعظيم لله عز وجل ولمن اصطفاه من أنبيائه المكلَّمين؛ ذلك أن التكلم أو التكليم لا يكون إلا ثناء وفضيلة وتعظيما وتشريفاً، ولذلك لا يجوز أن يقال: كلَّم الله إبليس ولا هو كليم الله، في مثل قول الله تعالى له: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18] أو غيرها.

أما الاحتجاج لقراءة العامة – برفع لفظ الجلالة- فهي على الفاعلية، والضَّمير المحذوف العائد على الموصول هو المفعول.

وأما قراءة النَّصب في لفظ الجلالة فعلى التعظيم، والفاعل ضمير مستكن عائد على المفعول كذلك[85].

واضح ممَّا سبق إيراده أنَّ الله سبحانه في القراءة الأولى هو المتفضِّل على خلقه بالتَّكليم، ولا يكون إلا لمن عظَّمه وشرَّفه وقربت منزلته إليه، وهو العظيم يعظِّم من يشاء من أنبيائه ومصطفيه، ونظير هذه القراءة تكليمه لموسى عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

وأما القراءة الثانية ففضلا عن تحمُّلها معاني التعظيم السالفة في القراءة الأولى، تميَّزت بمظهر آخر من مظاهر التعظيم، وهو أنَّ لفظ الجلالة فيها معظَّم - نحويًّا- ومنصوب على التعظيم والعناية، وقد سبقت الإشارة إلى هذا النوع من الإعراب، وتتأيَّد هذه القراءة بما روي أيضا في الشاذ: "منهم من كالمَ الله"[86]؛ على وزن "فاعلَ"، والمفاعلة تقتضي المشاركة، وهذا تشريف لمن يحظى بتكليم الله له.

ج- اختلافهم في قراءة: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ربَّ هذه الْبَلْدَةِ الذِي حرَّمَها﴾ [النمل: 91]: قرأ عامة القراء "الذي حرَّمها"، وقرأ ابن عباس وابن مسعود "التي حرَّمها"[87].

أفادت القراءات المختلفة في هذه الآية مظهرا من مظاهر تعظيم الله عزَّ وجلَّ، وتقديره: حقَّ قدره، يتمثل في تعظيم مكَّة المعظَّمة بيت الله الحرام؛ فقد حرَّم هذه البلدة وشرَّفها وعظَّمها بتحريمه على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرَامًا، أو يظلمُوا فيها أحدًا، أو يُصاد أو يُنفَّر شيء من صيدها، أو يُتعرَّض لشجرها أو لقطتها لتحريمه تعالى إيَّاها، وهذا كما يقول الإستانبولي: "إجلال لها بعد إجلال"[88]، وهذا ما دلَّت عليه القراءات جميعا.

كما خصَّ الله تعالى مكَّة بالإضافة تشريفًا لها وتعظيمًا؛ مثلما جاء في شأن الناقة وشهر رجب وغيرها. يقول الإستانبولي: "كما خصَّها بالذِّكر وإن كان ربَّ البلاد كلِّها ليعرف المشركون نعمته عليهم أنَّ الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرَّم بلدتهم"[89].

غير أنَّ قراءة الجمهور أبلغ في التعظيم والإجلال مما جاء في الشاذِّ؛ وذلك لأنَّ:

- "التي" في قراءة كل من عبد الله بن عبَّاس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وقعت صفةً للبلدة في موضع جرٍّ، أما "الذي" في قراءة الجمهور فجاء صفة للرَّبِّ سبحانه، وشتَّان بين الوصفين.
- إسناد الوصف وإجراؤه على الله تعالى القصد منه التعظيم للوصف ولكلِّ ما يتعلَّق به من شأن، وفيه أيضا زيادة اختصاص له بمن شمله الوصف وأُجري عليه على سبيل التضمين[90]، ومن لوازم التعظيم أنَّ في إجراء الوصف على الله تعالى يدخُل فيه غيرُه من خلقه لا العكس.
- قراءة الجمهور: "ربَّ هذه البلدة الذي حرَّمها"، تشير إلى معنى دقيق؛ وهو أنَّ مكَّة من جلالة قدرها، وعلوِّ مرتبتها بحيث يصحُّ أن يوصف بتحريمها ذو الجلال والإكرام، وأنَّ الوصف به كالوصف بالأسماء

الحسنى، وإليه الإشارة بقوله: "فأجزل بذلك قسمها في الشَّرف والعلو"، بخلاف القراءة الأخرى: "ربَّ هذه البلدة التي حرَّمها"[91]، فإنها تقصر عن إفادة هذا المعنى.

- السياق الذي تقتضيه الآية إنما هو إنما هو إجراء الوصف على الربِّ سبحانه لا على البلدة، فلذلك كانت قراءة العامة واضحة.

وعليه، فإن قراءة العشرة حظيت بمزيد من لوازم التَّعظيم والتَّفخيم ما لم تحظَ به القراءة الشَّاذة، وإن كانت القراءتان تتضمَّنان معًا موضوعا معظَّمًا ومشرَّفًا يتعلَّق ببيت الله الحرام.

خاتمة

بعد هذه الجولة المتواضعة في هذا الموضوع أخلص إلى مجموعة من النَّتائج، أهمُّها:

1- يقصد بتعظيم الله إجلاله سبحانه وتوقيره وتقديره حقَّ قدره بما يليق به سبحانه مع التذلُّل له؛ في ربوبيَّته وألوهيَّته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وكذا تعظيم ما عظَّمه سبحانه في كتابه من خلقه وأحكامه.

2- يُعنى فنُّ توجيه القراءات القرآنيَّة ببيان وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها، ويطلق عليه أيضا: الاحتجاج، التخريج، التعليل، الانتصار وغيرها.

3- قسَّم أهل الصَّنعة القراءات إلى أصول وفرش، وقد اختلف القراء في أداء بعض أصول القراءات كما اختلفوا في فرش الحروف حسب ما انتهت إليهم الأسانيد والرِّوايات.

4- تضمَّن توجيه بعض هذه الأصول وتعليلها معاني تعظيم الله تعالى وإجلاله سبحانه؛ من ذلك مدُّ التَّعظيم، تغليظ اللَّام من لفظ الجلالة، والتَّكبير وغيرها.

5- من فوائد اختلاف القراءات وتعدُّدها أنَّ المتتبِّع لفرش الحروف – حروف الخلاف- عند القرَّاء، ليقف كذلك على مظاهر كثيرة ومتنوِّعة من تعظيم الله تعالى وإجلاله.

6- ظهرت معاني تعظيم الله تعالى في فرش الحروف - أثناء رصدي لعدد منها- متنوِّعةً ومختلفة الورود؛ فمنها ما جاء مفيدًا لتعظيم الله تعالى صراحةً وبطريق مباشر، ومنها ما جاء مفيدًا لتعظيم الأشياء والمخلوقات التي عظَّمها الحق سبحانه وهي من تعظيمه تعالى، ومنها ما جاء معظَّما بطريق النَّحو وغيرها.

7- تضمَّنت القراءات الشاذَّة أيضا مظاهر للتَّعظيم، ازدانت بها بعض حروف الخلاف.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم مصحف المدينة.

- إبراهيم بن أبي الحسن البونسي، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تحقيق: حياة قارة، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2004)، د.ط.
- أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، (الرياض: مكتبة الرشد، 1994)، ط1.
- أحمد بن محمد الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2006)، ط3.
- أحمد بن محمد النَّحَّاس أبو جعفر، إعراب القرآن، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000)، ط1.
- أحمد بن محمد النحاس أبو جعفر، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، (المملكة العربية السعودية: مكة، جامعة أم القرى،1988)، ط1.
- إسماعيل حقي الإستانبولي، روح البيان، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، د.ط.
- الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وغيره، (دمشق: دار المأمون للتراث، 1993)، ط2.
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره الشاطبي، ت: محمد تميم الزعبي، (مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، بيروت، 2005م)، ط4.

- الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: جميل بني عطا، (الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2013)، ط1.
- عبد الحق بن غالب أبو محمد بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية،2001) ط1.
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، د.ط.
- عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، د.ط.
- عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (مصر: عيسى البابي الحلبي، د.ت)، د.ط.
- عبد الواحد المالقي، الدر النثير والعذب النمير، تحقيق: أحمد عبد الله المقرئ، (جدة: دار الفنون، 1990)، د.ط.
- عثمان بن جني أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999)، د.ط.
- علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1999م)، ط1.
- عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، ط3.
- محمد بن أحمد الأزهري، معاني القراءات للأزهري، (المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب، 1991)، ط1.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000)، ط1.
- محمد بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994)، د.ط.
- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، ط1.
- محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ - 1957م)، ط1.
- محمد بن عبد الله بن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد وغيره، (القاهرة، هجر للطباعة والنشر، 1990)، ط1.
- محمد بن عمر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير المسمى بـ: مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999)، ط3.
- محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع، (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت)، د.ت.
- محمد بن محمد بن الجزري، متن طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد الزغبي، (جدة: دار الهدى، 1994)، ط1.
- محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، عُني به: عبد الحليم قابة، (الجزائر العاصمة: دار البلاغ، 2003)، ط1.
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1993)، ط3.
- محمد بن يوسف الكرماني، تحقيق الفوائد الغياثية، ت: علي بن عجيان العوفي، (السعودية: المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 2004)، ط1.
- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990)، د.ط.
- محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (بيروت: دار الجيل، 1997)، ط1.
- محمد ين محمد النُّوَيْري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: مجدي محمد باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ط1.

- محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1987)، ط3.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، (عالم الكتب، بيروت، 1408هـ- 1988م)، ط1، ج: 2، ص:130.
- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ت: محي الدين رمضان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ- 1997م)، ط5.

الهوامش:

(1) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1993)، ط3، مادة (عظم)، ج:12، ص: 410.
(2) عبد الله بن محمد الهروي، منازل السائرين، د.ت، (بيروت: دار الكتب العلمية)، د.ط، د.ت، ص:81.
(3) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة (ق ر أ)، ج:1، ص:128.
(4) محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، عُني به: عبد الحليم قابة، (الجزائر العاصمة: دار البلاغ، 2003)، ط1، ص: 17.
(5) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجه)، ج: 13، ص: 559.
(6) انظر: أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، (الرياض: مكتبة الرشد، 1994)، ط1، ج:1، ص:18.
(7) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ - 1957م)، ط1، ص: 339.
(8) انظر: محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: (أصل)، ج:11، ص:16.
(9) والأصول الدائرة على اختلاف القراءات حوالي سبعة وثلاثون أصلا. علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1999م)، ط1، ص:10.
(10) وهو سبب قوي مقصور عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء.
(11) انظر التفصيل في: محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع، (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت)، د.ط، ج:1، ص: 344،
(12) محمد بن محمد بن الجزري، متن طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد الزغبي، (جدة: دار الهدى، 1994)، ط1، بيت رقم: 165، ص: 42.
(13) أحمد بن محمد الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2006)، ط3، ص: 59.
(14) محمد بن أحمد الأزهري، معاني القراءات للأزهري، (المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب، 1991)، ط1، ج:1، ص: 245.
(15) شذَّ الأهوازي فى حكايته ترقيق هذه اللام - بعد الفتح والضم- عن السوسي وروح، وتبعه في ذلك من رواه عنه، وذلك مما لا يصح في التلاوة. انظر: محمد بن محمد النُّوَيْري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: مجدي محمد باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ط1، ج:2، ص: 42.
(16) انظر: عبد الواحد المالقي، الدر النثير والعذب النمير، تحقيق: أحمد عبد الله المقرئ، (جدة: دار الفنون، 1990)، د.ط، ج: 4، ص: 129.
(17) انظر: محمد بن محمد النُّوَيْري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ج: 2، ص:41.
(18) أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، ج: 1، ص: 128.
(19) محمد بن محمد بن الجزري، متن طيبة النشر في القراءات العشر، بيت رقم: 43، ص: 61.
(20) عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، د.ط، ص:731.
(21) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، ط1، رقم: 3945، ج:2، ص:573.
(22) محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (بيروت: دار الجيل، 1997)، ط1،ج: 3، ص: 368.
(23) محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج2: ص: 573.
(24) مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ت: محي الدين رمضان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ- 1997م)، ط5، ج: 2، ص: 392.
(25) محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج: 2، ص: 450.

(26) عبد الرحمن بت إسماعيل أبو شامة المقدسي، إبراز المعاني من شرح حرز الأماني، ج: 2، ص: 491.
(27) أحمد بن محمد الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 614.
(28) أحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مادة: (فرش)، ج: 2، ص: 462.
(29) محمد بن علي الضباع، الإضاءة في أصول القراءة، ص: 10.
(30) أحمد بن موسى أبو بكر بن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، 1980)، ط2، ص: 2014.
(31) عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، ط3، ج:1، ص:62.
(32) انظر: محمد بن عمر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير المسمى بـ: مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999)، ط3، ج:6، ص: 204.
(33) انظر: محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1987)، ط3، ج: 1، ص: 356.
(34) أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ج:1، ص:417.
(35) حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره الشاطبي، ت: محمد تميم الزعبي، (مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، بيروت، 2005م)، ط4، بيت رقم: 872، ص:69.
(36) انظر: عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، إبراز المعاني، ص: 588.
(37) أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ج:1، ص: 612.
(38) المصدر السابق، ج: 1، ص: 408.
(39) محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ج: 3، ص:31.
(40) المرجع نفسه، ج: 2، ص: 441.
(41) المرجع السابق، ج: 3، ص:47.
(42) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 444.
(43) أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وغيره، (دمشق: دار المأمون للتراث، 1993)، ط2، ج:5، ص: 287.
(44) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج: 2، ص:367.
(45) محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 3، ص: 177، ومحمد بن عمر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير المسمى بـ: مفاتيح الغيب، ج: 23، ص: 262.
(46) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 363.
(47) محمد بن أحمد الأزهري، معاني القراءات، ج: 2، ص: 64.
(48) ورد بلا نسبة في كتاب: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وغيره، (دمشق: دار المأمون للتراث، 1993)، ط2، ج:5، ص: 32.
(49) المصدر السابق، ج: 5، ص: 32.
(50) عثمان بن جني أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999)، د.ط، ج:1، ص: 366.
(51) أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 546- 547.
(52) انظر: عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، إبراز المعاني، ج: 2، ص: 383.
(53) انظر: محمد بن عبد الله بن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد وغيره، (القاهرة، هجر للطباعة والنشر، 1990)، ط1، ج:3، ص: 116.
(54) البيت من الوافر، وقد نسب لزياد الأعجم. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، د.ط، ج: 3، ص: 61.
(55) أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 625.
(56) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 698.
(57) انظر: أحمد بن محمد النَّحَّاس أبو جعفر، إعراب القرآن، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000)، ط1، 4/ 234.
(58) وهي قراءة: ابن عامر وعاصم في رواية أبى بكر (سبح) بفتح الباء. أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص456.
(59) محمد بن يوسف الكرماني، تحقيق الفوائد الغياثية، ت: علي بن عجيان العوفي، (السعودية: المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 2004)، ط1، ج:1، ص: 289.

(60) بضم الياء وسكون الباء؛ من البكاء.
(61) البيت من الطويل، واختلف في نسبته. عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، ج: 1، ص: 288.
(62) أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 249.
(63) ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الحواريين شكوا فعلا في قدرة الله تعالى، ولذلك أنكر عليهم عيسى عليه السلام وانتهرهم بقوله: (اتقوا الله...)، ورُدَّ هذا القول بأن الحواريين مؤمنون وكلام مثل هذا لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم. انظر تفصيل المسألة في كتب التفسير. مثل: ابن جرير، تفسير الطبري، 11/ 219، فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 12/ 461 وغيرهما.
(64) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير المسمى، ج: 12، ص: 462.
(65) البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 257.
(66) انظر: عبد الحق بن غالب أبو محمد بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية،2001) ط1، ج2، ص: 259.
(67) انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000)، ط1، ج: 9، ص: 395.
(68) انظر: محمود بن عمرو الزمخشري، تفسير الزمخشري المسمى بـ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 1، ص: 590.
(69) انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج:9، ص: 395.
(70) جاء في مصحف ابن مسعود: "والموفين" على المدح أو على قطع النعوت، وقرأ يعقوب والأعمش والحسن: "وَالْمُوفُونَ، والصابرون". محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، ج1: ص: 220.
(71) إبراهيم بن أبي الحسن البونسي، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تحقيق: حياة قارة، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2004)، د.ط، ج: 1، ص: 565.
(72) عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، ج: 2، ص: 62. والبيتان من البسيط لابْن خياط العكلي.
(73) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990)، د.ط، ج: 6، ص: 53.
(74) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، (عالم الكتب، بيروت، 1408هـ- 1988م)، ط1، ج: 2، ص:130.
(75) أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 226.
(76) عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (مصر: عيسى البابي الحلبي، د.ت)، د.ط، ج:1، ص: 327.
(77) انظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج: 1، ص: 198.
(78) انظر: عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج: 1، ص: 424.
(79) انظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 327.
(80) أحمد بن محمد النحاس أبو جعفر، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، (المملكة العربية السعودية: مكة، جامعة أم القرى،1988)، ط1، ج:6، ص:500.
(81) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة: (عزر)ج: 1، ص: 562.
(82) انظر: عبد الحق بن غالب أبو محمد بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: 5، ص: 129.
(83) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة (عزز)، ج: 5، ص: 374.
(84) انظر: محمد بن عمر فخر الدين الرازي، التفسير الكبير المسمى بـ: مفاتيح الغيب، ج: 26، ص: 226.
(85) أحمد بن محمد الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: 207.
(86) وهي قراءة أبي المتوكل وابن السميفع. محمود الزمخشري، تفسير الكشاف، ج: 1، ص: 297.
(87) عبد الحق بن غالب أبو محمد بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 4/ 274.
(88) إسماعيل حقي الإستانبولي، روح البيان، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، د.ط، ج: 6، ص: 377.
(89) المرجع نفسه.
(90) انظر: محمد بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994)، د.ط، ج: 10، ص: 248.
(91) انظر: الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: جميل بني عطا، (الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2013)، ط1، ج: 11، ص: 600.